فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٢ ه‍ ق ٨ الشتاء الاول ١٢٩٢ ه‍ ش ٢٨ ديسمبر ١٩١٣

فاتحة السنة السابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(٥٩:٢٧) قُلِ الحمدُ للهِ وَسلامٌ على عِبادِهِ الّذينَ اصطفَى ، آللهُ خيرٌ أمّا يُشرِكونَ (٩٣:٢٧) وَقُلِ الحمدُ للهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعرِفُونَها ، وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ (٣٥:٤٥) فللهِ الحمدُ ربِّ السمواتِ وربِّ الأرضِ ربِّ العالَمينَ ٣٦ وله الكبرياء في السمواتِ والارض وهو العزيز الحكيم) فنحمده بما حمد به نفسه ، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه ورسله ، وصفوته من بني آدم الذين فضلهم على كثير من خلقه ، محمد

النبي الامي ، العربي الحجازي ، الذي أرسله رحمة للعالمين ، وأتم به نعمته في الدنيا والدين ، وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الهادين المهديين ، والتابعين لهم في هدايتهم وهديهم الى يوم الدين .

وبعد فاننا نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشرة بنحو ما ذكرناهم به في السنين الخالية ، من سوء عاقبة الإفراط والتفريط اللذين رزئت بهما أمتهم الجاهلة الغافلة ، — الافراط في عبادة الهوى واتباع الشهوات ، والانهماك في الفواحش والمنكرات ، والمحافظة على البدع وسيئ العادات ، — والتفريط في حقوق الله وحقوق الامة ، وما يجب من التزام هدي الكتاب والسنة ، ومجاراة الامم بما يستطاع من حول وقوة ، ولا سيما قوة الاعتصام والوحدة ، وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة . ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر ، وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتنون به في كل عام ، وما تسلب من ملكهم الامم والاقوام ، وبيان سنن الله تعالى في الظالمين والمسرفين ، (٤:٦) وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين (١٠:١٠٩) قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون [1] ١٠٢ — فهل ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ؟ قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين)

سبحان الله ! ان من العقلاء من يتعظ بالعبارة ، ومنهم من يكتفي بما توحيه اليه الاشارة ، وانهم ليستنبطون من وقائع الاحوال ، ما يستعدون به لما ينتظر في الاستقبال ، ولو على سبيل الفرض والاحتمال

(١) أي لا يصدقون بما تدل عليه الآيات وما تخوفهم به النذر والمواعظ لجهلهم وعدم تدبرهم

وان الامم أشد من الافراد احتياطا ، وأخفى حيلة وأدق استنباطا ، وأوسع في المستقبل آمالا ، وأكثر استعدادًا له وأعمالا ، لانها أطول أعمارًا ، وأشد قوة واقتدارًا ، وأكثر أعوانا وأنصارًا ، فما بال أمتنا لاتتعظ بكلام الله ولا بكلام البشر ، ولا تعتبر بما تشاهده من الأحداث والعبر ، وكلما أنذرها الله بطشته تتمارى بالنُّذُر ؟ ! (٥٤ : ٤ ولقد جاءهم من الانباء مافيه مُزْدَجَرٌ ـ حكمةٌ بالغة فما تغني النُّذُر * ـ ٢١ : ٤٥ قل إنما أُنذركم بالوحي ولا يسمعُ الصمُّ الدعاءَ إذا ما يُنذَرُونَ)

تركت هذه الامة هداية القرآن ، ففاتها ما كانت نالت به من الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والبسطة في العمران ، وأمست غافلة عن سبب ذلك التوفيق وهذا الخذلان ، بل أتى عليها أحقاب من الزمان ، لاتشعر بكنه هذا الخسران ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر دنياها ، قبل الشعور بما كان سببًا له من فساد أمر دينها ، وبما خسرت من سلطانها وأملاكها ، قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها ، ولما شعرت بالخطر على حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية وأسبابها المعنوية ، شرعت في شيء من الاصلاح الصوري ، بدون أن تؤيده بروح الاصلاح المعنوي ، فمُد السلطان محمود مصلحا بتغيير الزي الرسمي ونظام الجندية ، والسلطان عبد المجيد مصلحا باعلان التنظيمات الخيرية ، والسلطان عبد الحميد مصلحا بانشاء نظارة المدلية ، ومصطفى رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة العثمانية في سلك الدول الاوربية ، ومدحت باشا وأعوانه مصلحين باقتباس القوانين الغربية الغربية ، ومحمد علي باشا وأحفاده مصلحين بفرنجة البلاد المصرية ، والامير عبد الرحمن

خان مصلحا بالتأليف بين القبائل الافغانية . ولم تتوجه همة أحد الى إصلاح الاخلاق والعادات ، وازالة البدع والمنكرات ، وجمع الكلمة التي فرقتها المذاهب واللغات ، فما زاد الأمة ذلك الاصلاح الصوري الا ضروبا من الفساد ، ولا أفاد الدولة الا إضعاف الاستقلال وإضاعة البلاد ، (٢١: ٤٤ بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ، أفلا يرون أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها ؟ أفهم الغالبون ؟)

لا أقول ان جميع ماقام به أولئك الرجال لم يكن مطلوبا ، ولا أقول ان ضرره وما ترتب عليه من الفساد كان ذاتيا ، بل أقول ان أكثره كان ضروريا ، ولكنه لم يكن علاجاً لهذه الامة من طبيب اجتماعي ، عرف من أمراضها الظاهري والباطني ، فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة ، ويحفظ البنية ويقوي المنة ، لذلك رأيناها بعد هذه المعالجات لم تزدد الا مرضاً ، حتى كادت تكون حرضا ، ازدادت ذلا وفقرا ، وتفرقاً وضعفا ، وفساداً في الاخلاق ، واسرافا في النفاق ، وكان ما أدخل فيها من علوم الامم القوية وقوانينها وآدابها ، كالجسم الغريب الذي يدخل في البنية فيفسد مزاجها ، لانه لم يكن على حسب استعدادها وحاجها ، بل كان تقليداً صوريا ، أو عارضا وقتيا ، فمنه ما كان ضارا ومنه ما كان نافعا ، فأما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية ، التي قطعت كثيرا من روابط الامة الملية ، وأزالت ما أزالت من مقوماتها ومشخصاتها الاجتماعية والادبية ، ولم تستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الامم الأوربية ، بل صارت عيالاً عليهم في جميع الشؤون ، حتى انتهى ذلك الى هذا الفتون ، بأن فقدت الاستقلال ، باسم النفوذ أو الحماية أو

الاحتلال ، (٦ : ١٢٩ وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ١٣١ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ١٣٢ ولكلٍّ درجاتٌ مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون)

وأما ما كان نافعا من تلك الاعمال ، التي وسمت بسمة الاصلاح ، فانما كان نفعه موضعيا ، وعارضا لا دائما ، فكان كمداواة بعض أعراض الزهري (الداء الافرنجي) الظاهرة بما يزيلها ، مع بقاء العلة في الباطن (كتسمم الدم) تصدر عنها آثارها ، فما زال منه بالمعالجة الموضعية اليوم ، يظهر ماهو شر منه وأعصى على العلاج في الغد * كلما داويت جرحاً سال جرح * ذلك مثل ما كان في الدولة العثمانية ، وهي أكبر مظاهر السلطة في الامة الاسلامية ، وخير منه ما قام به الامير عبد الرحمن ، من جمع كلمة قبائل الافغان ، وتدريبها على القتال ، الذي يحفظ به الاستقلال ، وكذا ما قام به الامير محمد علي في مصر ، فانه بنى ركني الثروة والقوة على أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ به ببناء ركني الاخلاق والآداب ، على أساس الدين وسنن الاجتماع ، لتم لهم تكوين الأمة ، ولاستقام لهم بالامة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الامم والشعوب ، لا عصر الامراء والملوك ، ولكن جميع أقيال المسلمين ، كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين ، (٣٥ : ٤٤ أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ؟ ٤٠ : ٢١ * أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض فأخذهم الله بذنوبهم * - ٣٠ : ٩ أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارضَ

وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

نعم انهم لم يسيروا في الارض، لاجل الاعتبار بسنن الله في الكون، فينظروا في سوء عاقبة الامم الجاهلة النائمة ، ومصير الدول المستبدة الظالمة ، وحسن عاقبة الامم العالمة العاملة ، وسيادة الدول المنظمة العادلة ، وكيف ان اصلاح الارض وعمران الدور، لا يغني عن إصلاح الاخلاق وارتقاء الجمهور ،ولو ساروا لما نظروا، ولو نظروا لما أبصروا، ولو أبصروا لما اعتبروا ، (٢٢: ٤٦ أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وأي عمى أشد من عمى الاستبداد ؟ وهو مصدر كل فساد وافساد، حتى انه يفسد الطباع ، ويغير الاوضاع ، ويقطع رابطة الزوجية ، ويزيل عاطفة الابوة والبنوة ، فيغري الولد بقتل والده ، والوالد بقتل ولده ، وكيف يؤمن على حياة أمته ، من لا يكبر عليه قتل والده أو ولده ، اذا هو نازعه في سلطته ، أو عارضه في ارادته ؟ فانتظار الأمم ان يكون صلاحها ورشادها ، ممن لا حظ لهم من حياتهم الا استذلالها واستعبادها ، اتباعا لترفهم ونعيمهم ، وافتتانا باطرائهم وتعظيمهم ، يشبه طلب العلم من الجاهلين، والتماس الهدى من الضالين، (١١ : ١١٧ فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ١١٨ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

ألا انه لا بقاء مع ظلم وفساد ، ولا عدل مع استبداد ، ولا هلاك

مع اصلاح ، ولا إصلاح للدولة ، الا بصلاح الأمة ، ولا اصلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولي الرأي والعزم ، يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد في الأرض ، ولا تأثير للأمر والنهي ، الا بإجماع الأمر وإحكام الرأي ، ولا يفيد الإحكام والإجماع ، الا مع مراعاة سنن الاجتماع ، لاختلاف استعداد الأقوام ، باختلاف احوال الزمان والمكان ، وزماننا هذا هو زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية ، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية ، فحظ الافراد الكثيرين من معنى الامة ، على قدر حظهم من إقامة هذه الاركان الستة ، ولا ينبغي أن يطلق هذا اللفظ ، على من لا نصيب لهم منها ولا حظ ، الا على سبيل التجوز في القول ، كما يطلق اسم الشيء على صورة الشيء ، ومتى ملكت الامة بالجمعيات أمورها المعنوية ، وبالشركات أمورها المادية ، كانت جديرة بأن تقوّم أمر حكومتها ، وتقيمها على صراط شريعتها ، لهذا كان همنا منذ سنة المنار الاولى ، أن نذكر أهل العلم والرأي من المسلمين بهذه الطريقة المثلى ، اهتداء بقوله تعالى (٨٧: ٩ فذكّر ان نفعت الذكرى ١٠ سيذّكر من يخشى) وليس بعد اقامة حجة الله في الورى ، الا فلاح من اتبع الهدى ، وهلاك من آثر الهوى (٤٥: ٢٢ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكّرون !)

ألا وان أمر التربية والتعليم هو أهم مايجب أن يوكل الى الجماعات ، ولا يجوز أن يترك الى الافراد ولا الى الحكومات ، لان المدارس للافراد دكاكين لكسب المال ، وللحكومات معامل اسبك العمّال ، فكل

من الفريقين يتوخى في التعليم منفعته الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وانما تطلب الحكومة عمالا لها كالآلات ، لا ارادة لهم ولا رأي ولا استقلال ، والافراد يتبعون سننها ويسيرون على طريقها ، وانما ربح تجارتهم رواج بضاعتهم في سوقها ، وشر من ذلك ما ابتلي به جماهير المسلمين ، من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم في السياسة والدين !!! فكانوا بهذا الخزي من الاخسرين ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فأنّى تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها ، الى من لاهم لهم الا ازالة ملكها ودينها ؟؟؟ كلا! انها كرّة خاسرة ، يخسرون بها الدنيا والآخرة ، (٧ : ١٧٨ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجنّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ ، أولئك هم الغافلون)

الامم تصلح بالتربية ونحن قد افسدنا المربون ـ الافرنج والمتفرنجون ـ وترتقي بالعلم ونحن قد دلّانا العلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعتز بجمع المدارس لكلمتها ، ونحن قد أوهنتنا وشقت عصانا المدارس ، لانها إما معاهد سياسية وإلحاد ، وإما أديار وكنائس ، قد قطعت روابط الامة الدينية والمدنية ، وفتنتها بالاهواء والشهوات الحيوانية ، وسرى سم تقليدها الى المدارس الاميرية والاهلية ، فالمتخرجون فيها أقلهم الذين يسلمون ، ومنهم الملحدون وأكثرهم الفاسقون ، يجرفون ثروة الامة الى الاجانب ، ويقذفونها بالفجور والنفوذ الاجنبي من كل جانب ، ويتغلبون فيها على المناصب ، فينالون منها جميع المآرب ، يحقرون لها سلفها ، ويعظمون

في نفسها كل ما هو أجنبي عنها ، فيقطعون جميع روابطها المليئة ، ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التي يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التي يستعين بها الاجانب على ادارة امر البلاد ، لأنهم تربية مداوسهم ، بل صنع معاملهم ، او الجيش السلمي لثكناتهم ، ولا يتم لهم مايسمونه الفتح السلمي بدونهم ، ولأجل هذا ربوهم هذه التربية المدبذبة ، وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة ، فلا هم صاروا بها اوربيين ، ولا ظلوا مسلمين او شرقيين ، ولكنهم لغرورهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة أمرها ، ويزعمون انهم هم المصلحون لشأنها ، (٢ : ١٠ واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ١١ الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

هكذا ذفف على جرح هذه الامة من جعلوا انفسهم أساة لها وأطباء ، فكان اقتل أدوائها ما عالجوها به من الدواء ، ومن كان له عقل وبصيرة ، فليتدبر ما تقوله فيهم كتب الافرنج وصحفهم الشهيرة[1] ومن اهمها ما نقلته مجلة العالم الاسلامي الفرنسية ، عن مجلة العالم الاسلامي الانكليزية ، في سياق الكلام على فتح العالم الاسلامي (الذي نشرناه في ص ٥١٦ م ١٥) وهذا نصه : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوربيون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوربة كلها » !!! فاذا لم يكن للمسلمين مدارس مليئة ، تديرها حكومة أو جماعات اسلامية ، فتربيهم على مايجمعون به مصالحهم الدينية والدنيوية ، واذا

(١) ومنها ما كتبه لورد كرومر في كتابه مصر الحديثة في سوء حال المتفرنجين

كانوا لا يعرفون للتعلم غاية الا المنفعة الشخصية ، وما يتخيلون من المنافع الحسيسة المادية ، فان اوربة تعرف كيف تنشئهم في مدارسها ومدارسهم خلقا جديدا ، يكونون بها على توهم الحرية خدما لها وعبيدا ، فهم مقادون من امامهم ، ومسوقون من ورائهم ، ولكن لا يدرون كيف بدءوا ولا اين ينتهون ، (١٦: ٢١ أمواتٌ غير أحياءٍ وما يَشعُرونَ أيّانَ يُبعَثون * ٣: ١١٧ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عنِتُّمْ قد بدتِ البغضاءُ من أفواهِهِم وما تُخفي صدورهم أكبرُ ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)

ألا اننا في اشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما تتوقف عليه من العلوم والفنون العملية ، والى الاعتبار بتاريخهم ، وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم ، ولكن يجب ان يقوم باقتباس ذلك جماعات منا ، يجمعون بينه وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا ، وأركانُها اللغة والدين والشريعة والآداب[1] فمن فقد شيئا من هذه الاشياء فقد فقدَ جزءا من نفسه ، لا يمكن ان يستغني عنه بمثله من غيره ، كما انه لا يستغني بعقل غيره عن عقله ، ولا بجسم سواه عن جسمه ، وانما نستفيد من العبرة بحالهم ، كيف نرقي لغتنا كما رقوا لغاتهم ، وكيف ننشر ديننا كما ينشرون دينهم ، وكيف نسهل طرق العمل بشريعتنا وآدابنا كما سهلوا طرق شرائعهم وآدابهم ، ولنا ان نستعين على ما نستمده منهم ، بأهل الفضيلة والاستقلال من

---

(١) هذا التقسيم بحسب عرف العصر . والشريعة عند المسلمين بمعنى الدين والمراد بها هنا احكام المعاملات من السياسة والقضاء والادارة والحرب . وهي موضع اجتهاد أولي الامر في الدين الاسلامي . والآداب الاسلامية منبعها الدين وهي اعلى من آداب الافرنج وأكمل

وجالهم ، الذين ليس لهم فينا اهواء دينية ، ولا مطامع سياسية استعمارية ، وبهذا نكون مهتدين بما امرنا الله به من السير في الأرض ، والاعتبار بأحوال الامم ، وبسنة سلفنا ، في جعل الحكمة ضالتنا ، واعتقاد انها حيث وجدت فنحن أحق بها ، (٨: ٢٤ يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب ٢٦ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم وانتم تعلمون *

الدعوة الى انتقاد المنار

أمر الله تعالى بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، و بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونهى عن الغيبة وتوعد المغتاب ومن يحب شيوع الفاحشة ، وأوعد الهمزة اللمزة ، بالويل الشديد والحطمة ، فنحن نذكر كل من يطلع على منارنا هذا بأمر الله ونهيه ، ووعده ووعيده ، وندعو من رأى فيه خطأ ان يذكرنا به قولا أو كتابة ، مبينا ذلك بالدليل والبرهان ، لا بقول فلان ورأي فلان ، مع أدب العبارة ، والاكتفاء منها بقدر الحاجة ، ونحن نشترط ان شاء الله تعالى كل ما يكتب الينا ، سواء كان لنا أو علينا ، اذا التزم الكاتب ماشرطنا ، ثم نبين ماعندنا فيه من قبول وإذعان ، أو رد أدبي مؤيد بالبرهان ، وليعلم كل عاقل منصف أن من يخطئنا ولا يكتب الينا ، فهو لا ثقة بعلمه ولا بدينه ولا بما يقوله فينا ، وانه حاسد مغتاب ، أو مدع كذاب ، والى الله المرجع والمآب ، وهو سريع الحساب

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني